الجماهير العربية لهذه الانظمة حرية التصرف والمناورات من خلال تضاريس المعادلات الدولية القائمة واستخلاص ما باستطاعتها من « تنازلات » تؤمن ما تتصوره وما تعمل على تصويره بكونه « مصالحنا القومية » . فالى جانب اشاعة النزعة الاتكالية فان هذه الحملة الاعلامية والنفسية تؤدي في حال نجاحها الى حجب الجماهير تدريجيا عن فرص الفعالية والمشاركة من خلال السعي الى تيئيسها من جدوى التعبئة والتنظيم والتحرك الثوري . يضاف الى ذلك ان الغوص في العمل الدبلوماسي من شأنه طمس معالم المفارقات بين اهداف الانظمة المحافظة ــ الرجعية واهداف الانظمة الوطنية اذ ان التهافت على السلوك الدبلوماسي يفقد التمايز الفعلي القائم في الدوافع السياسية لهذه الانظمة . بكلام اخر فان الاقحام الدبلوماسي من أجل تنفيذ قرار مجلس الامن يضع حتى ما يمكن اعتباره من متباينين واضداد في اطار واحد على الاقل مرحليا .

لكن هل يعني ان الثورة الفلسطينية ــ وقوى الثورة العربية ــ هي بالضرورة ضد اي تحرك دبلوماسي خاصة وانه باستطاعة الانظمة العربية وغير الانظمة استحضار Invoke السوابق والشواهد على بعض انجازات الدبلوماسية للثورات . وهذا صحيح اذا نحن ادركنا ان الثورة لها دبلوماسية من صلب مخططاتها المتعددة الابعاد والوجوه . الا انه يجب التثبت في حال اللجوء الى السبل الدبلوماسية ، من انها منبثقة عن خط ثوري وليست كما هي الحال في اوضاعنا الراهنة بديلا للثورة او عملية اجهاض لها .

وماذا نعني بالدبلوماسية الثورية او بدبلوماسية الثورة ؟ هي بداهة تعني الدبلوماسية الساعية لتحقيق اهداف الثورة . هذا يعني بالضرورة انها دبلوماسية ثورية ايضا من حيث انها عملية حوار تفاوضي لا تباشر مهامها الا اذا ضمنت شروط تحقيق اهدافها المرحلية او النهائية ، وهي تسلم بأن دورها المفاوض لا يكون مجديا ما لم يسبق هذا الدور ويلازمه « حوار » قتالي مع العدو . هكذا نجد انه في هذا المضمار استهدفت دبلوماسية الثورة الفيتنامية ــ ودبلوماسية فيتنام الديمقراطية ــ أن يتخلى الاميركيون الاستعماريون وعملائهم في جنوب فيتنام لا عن مواقفهم فحسب بل عن بنية كيانهم القائم. ولم تكن الثورة الفيتنامية لتتمكن من توفير الشروط الملائمة لتحقيق مثل هذه الاهداف الستراتيجية لها لو لم يسبق موقف التفاوض حسم من قبل قيادة الثورة الفيتنامية فيما يتعلق بالتزام حرب التحرير الشعبية وما يترتب على ذلك من تحصين ذاتي ضد محاولات التحريف التي يلجأ اليها النظام الدولي عندما يعمل على افتعال حالة «استقرار» على حساب اهداف الثورات المشروعة .

يتبين لنا أن استراتيجية التحرير الكامل تفرض ان يكون ملازما للحوار القتالي مع المحور الامبريالي ــ الاسرائيلي استعداد دائم للحوار التفاوضي في مراحل تستوجب المفاوضة لاجل ازالة بنية الكيان الصهيوني وبناء التركيب البديل ــ اي فلسطين الديموقراطية العلمانية . الا أن هذا الهدف الستراتيجي لا يجيز اتباع منهج تفاوضي الا في المرحلة التي تكون الثورة الفلسطينية ــ والعربية ــ قد تمكنت من انضاج الاوضاع بحيث يصبح العدو مضطرا للتفاوض من أجل ازالة الكيان الذي سبب العداء وبالتالي مساهما في تنفيذ اهدافنا المشروعة في التحرير الكامل لفلسطين . الا أن هذا يستوجب ايجاد تغيير في موازين القوى القائمة في المنطقة .وهذا يعني تغييرا كيفيا في الواقع العربي يؤهله أن يباشر بالعمليات ــ العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ــ المطلوبة من أجل ترجيح قوة العرب فعليا في مجابهتهم المصيرية مع المحور الاميركي ــ الاسرائيلي . هذا التغيير الكيفي المطلوب يضع قوى الثورة العربية ــ والفلسطينية ــ بحالة افتراق وتباين وتناقض مع معظم الانظمة العربية وخاصة مع التي توافق على الحلول السلمية المعروضة . الا أننا هنا لسنا بصدد استشراف الصيغ للمعالجات